مسرحية

مأساة شايلوك

عن مسرحية تاجر البندقية

تأليف وليم شكسبير

ترجمة حسين أحمد أمين

دراماتورج أحمد حجاج

مقدمة:

كتب "**وليام شكسبير**" مسرحية "**تاجر البندقية**" في أواخر القرن السادس عشر من الميلاد، وكان يرمي بها حسب ما قيل على أحداث وقعت بالفعل، إلا أنه افتعل الكثير من الدراما التي أزاد فيها عن الواقع من الأحداث ما يغير نظر القارئ عن أنه يترِّخ حدث، فقد ألحم أحداث درامية من وحي خياله، وحوارات بين الأبطال لم تحدث بالفعل، إلى أن وصل إلى هذه الحبكة المعروفة في النص الأصلي للمسرحية.

"**وليم شكسبير**" من منظوره كان يبحث في هذه الرواية عن أصل الكسب الحرام، وعن سبب حرمانيته؛ وإن كان قد مال بعد ذلك إلى أمور عدة، وعلى عادة الكتَّاب والمؤلفين خرج بخياله عما كان يرسم للرواية من تسلسل في الدرامة والأحداث إلى أن وصل إلى حبكة درامية جعلت منه يتساءل وليس وحده، بل الكثير من قراء هذه الرواية... ما الذي يجعل من (**شايلوك**) يصل إلى هذا الحد من الفجور؟ هل هي النفس البشرية؟ أم أنه العقل البشري؟ وهل للأخطاء أحجام، ومستويات مثل الدرجات بين الأبيض والأسود؟ أم أن الخطأ بكل أشكاله هو الأسود، والصواب بكل نتائجه هو الأبيض.

أما عن "**مأساة شايلوك**" فهي جزء من التسلسل الدرامي الذي بناه "**وليم شكسبير**"، ولكنه منغلق إلى حدٍ ما على العلاقة بين (**شايلوك**) وخصمه (**أنطونيو**) أو عدوه كما يراه (**شايلوك**)، يظهر فيه رأي فلسفي عن سر الخطأ أو الخطيئة التي يرتكبها كل إنسان؛ والذي يبدأ دائماً خطيئته بمقاومة شديدة للشيطان، والذي بدوره يترك الفكرة فقط في النفس البشرية، والتي تقوم هي بدورها في الإلحاح بكل الأشكل على الإنسان حتى يضعف فيخضع لما تأمره به نفسه من سوء.

ورغم أن الأحداث المتعلقة بشخصية (**شايلوك**) تبدأ بخطيئته دون إبداء أية مقاومة من قبله ضد الشيطان أو النفس البشرية إلا أن الأمر هنا مختلف، فيجب أن يظهر على الممثل الذي يؤدي دور (**شايلوك**) وأنه قد توغل فيه الفحش من قديم الأزل – وإن أراد المخرج أن يعطي ملمح عن تاريخ الصهيونية أو عن صفات اليهودي العبري فما عليه إلا أن يعمق هذه الفكرة في ذهن المتلقي – كما أن "**مأساة شايلوك**" تصور الجانب الآخر من الإنسان هذا الجانب الخفي الذي يكره الجنس البشري أن يظهره رغم أنه يعلم جيداً بوجوده، ألا وهو النقد الذاتي ما بين العقل والضمير.

وختاماً أتمنى أن أحقق في هذا التسلسل الجديد للدرامة صورة كاملة واضحة للجوانب التي أراها الآن في مخيلتي قبل بداية العمل على المسرحية.

أحمد حجاج

شخصيات المسرحية:

شايلوك	تاجر مرابي يهودي.
أنطونيو	تاجر كبير بالبندقية معروف بالأمانة والشرف وحب الناس.
جيسيكا	إبنة شايلوك وهي تحب لورينزو.
لورينزو	صديق لأنطونيو وعاشق لجيسيكا.
طوبال	تاجر يهودي يتاجر بأموال غيره من التجار مستخدماً أكثر من إسم.

(المسرحية ليست مشهد واحد كما أنها ليست مشاهد منفصلة... والديكور غير موجود إلا ما كان للضرورة القسوى وغير مرئي بأكبر قدر ممكن ويفضل أن يكون العرض غير محدد له الزمان أو المكان والملابس ليست ذات ثقافة معينة.)

سولانيو : صدقني يا سيد أنطونيو, لو أني خاطرت مثلك بإرسال سفني وبضائعي إلى عرض البحر،

لانحصر جل اهتمامي فيما عقدته من آمال خارج بلدي، ولظللت أقتلع الأعشاب حتى تنبئني بمسرى الريح

أنطونيو : (**بهدوؤ وتعقل**) أعذرني سولانيو حين أنكر هذا... فمن حسن حظي أني لم أودع كل ثروتي في سفينة واحدة ولا وجهتها إلى مكان واحد بل ولا هي مرتبطة بأسرها بمصير تجارتي هذا العام وحده ولهذا فإنه ليس صحيحاً أن مصدر حزني هو القلق على تجارتي.

سولانيو : فأنت عاشق إذن.

أنطونيو : (**ضاحكاً**) العشق هراء وطيش لمن كان في مثل سني.

سولانيو : (**بحيرة**) لا القلق على التجارة ولا العشق؟ (**بنظرة عميقة تبرز أن الحيرة السابقة كانت مفتعلة**) فلنقل إذن إنك حزين لأنك غير سعيد، فلقد خلقت الطبيعة في مسارها أناساً غريبي الأطوار بعضهم يظل دوماً يتطلع إلى الزمار الذي يعزف بجوار السحرة فتفوته ألعاب السحر, وبعضهم يراقب ويتمعن فيصير ذا شأن في ألعاب السحر، ولكني أفضل النوع الثالث الذي يعطي قيمة حقيقية للساحر عندما يدفع له... أها.. ها هو... صديقك النبيل لورينزو... كنت أود لو بقيت معك حتى أبدد حزنك، لولا وصول هذا الصديق الأكثر جدارة مني بذلك.

أنطونيو : (**يتحدث وكأنه واجب الرد المعتاد**) جدارتك عظيمة عندي. غير أني أدرك أن شئونك الخاصة تدعوك إليها، فانتهزت الفرصة للانصراف.

سولانيو : (**يضحك بشدة**) وداعاً إذاً... ولأتركك الآن مع صحبة أفضل.

لورينزو : (**بمزاح مفتعل**) متى نلتقي ثانية فنلهو ونضحك؟ لابد من تحديدٍ لموعد، (**بتهكم محاولاً استفذاذه**) فقد صرت كالغريب، وهذا ما لا أجد مبرراً له.

سولانيو : (**متماسكاً أعصابه نوعاً ما**) سأحاول... سأحاول عزيزي لورينزو إدخار بعض الوقت لك أنت الآخر.

أنطونيو : (**بعد أن تابعا الإثنين اختفاء سولانيو**) حسناً يا لورينزو... فلتخبرني الآن عن السيدة التي تعتزم الحج بها سراً، والتي وعدتني اليوم بالحديث إليَّ في شأنها

لورينزو : (**متردداً**) أنطونيو... (**بعد لحظة توتر**) لا يخفى عليك يا أنطونيو أنني بددت معظم ثروتي بالتبذير على نمط معيشة لا تسمح باستمراره مواردي المحدودة ولا أشكو الآن من اضطراري إلى تخفيض إنفاقي الضخم، وإنما أجد شاغلي الأكبر هو كيف أخلِّص نفسي، وبأسلوب شريف، من الديون الباهظة التي لا تزال تثقلني بسبب إسرافي فيما مضى.. فأما معظم ديوني... ومودتي فأنا مدين بهما لك يا أنطونيو. ومودتك تسمح لي بأن أكشف لك عن كل خططي ونواياي بصدد كيفية تسديد كافة ديوني.

أنطونيو : أناشدك يا لورينزو أن تحيطني علماً بها. فإن كان طابعها الشرف شأن صاحبها دائماً، فلتثق في أن جيبي، وشخصي، وأقصى جهدي ستكون رهن إشارتك.

لورينزو : كنت وأنا طالباً إذا رميت بسهم ثم لم أعثر عليه، أطلق سهماً آخر في نفس الاتجاه وأراقبه مراقبة أدق حتى أعرف مكان الآخر فإذا بمخاطرتي بالإثنين تؤدي إلى عثوري على الاثنين... وإنني مدين لك بالكثير.. وهذا الكثير قد أضعته... غير أنك إن تفضلت بتصويب سهم آخر في نفس الاتجاه الذي صوبت فيه سهمك الأول.. فلا شك أنك ستعثر على السهمين.. أو أني أرد لك الثاني وأظل كما أنا مدين لك بالأول.. معترفاً بفضلك عليَّ.

أنطونيو : أنت تعرفني جيداً وأني سأبذل كل ما بوسعي لمساعدتك.. ومع ذلك فها أنت تضيع وقتك باللف والدوران... فاختصر على ذكر ما عليَّ أن أفعله، وما ترى أن بإمكاني تقديمه، وسأقدمه لك... لتقل إذن.

لورينزو : سيدة... سيدة ورثت ثروة طائلة.

أنطونيو : (**بحماس**) جميلة؟

لورينزو : **(منتشياً وفي السطور القادمة)** بل أجمل من كلمة الجمال ذاتها، وتتحلى بشمائل خلابة.
أنطونيو : **(باستفاقة)** وكيف تعرف أنها تحبك؟
لورينزو : تلقيت فيما مضى من عينيها رسائل صامتة... العالم بأسره يعرف قدرها فالرياح الأربع تأتي إليها من كافة الشطئان بخطّاب مرموقين، لكن عيناها لا يبعدان أبداً عني... **(باشمئزاز)** رغم هذا الشيطان...
أنطونيو : من؟
لورينزو : والدها... يرفض كل من يطلب يدها... خوفاً على الثروة التي يحملها بين يديه... هو رجل جاحد مادي ومرابي.
أنطونيو : **(بشيء من الفضول)** عن أية ثروة تتحدث؟
لورينزو : **(وكأن هناك من يصطنت عليهما)** بل ثروتين... ما لها من أموال عنده... وصناديق الذهب... يحفظهم لها قولاً ويتحفظ لنفسه عليهم فعلاً.
أنطونيو : والأخرى؟
لورينزو : هي نفسها إبنته الجميلة... لا يريد أن يزوجها إلا لتاجر عظيم أو نبيل ثري... آه يا أنطونيو... ثمة إحساس قوي لدي بأنني لو كنت أملك من المال ما يضمن لي مكانا بين هؤلاء المتنافسين عليها، لكتب لي النجاح، ولكنت دون شك في عداد المحظوظين.
أنطونيو : **(بأسف شديد)** أنت تعلم أن ثروتي بأسرها هي الآن في البحر، وما عندي الآن من المال أو السلع ما يكفي لتوفير المبلغ المطلوب. فامض إذن، وحاول أن تحصل في البندقية على أكبر قرض ممكن بضمانتي، حتى تهيئ نفسك لزيجتك الفاخرة... امض لتوك للاستفسار، وهو ما سأفعله أنا أيضاً.. ولا شك عندي في أننا سنحصل على القرض.
شايلوك : قرض كبير هذا الذي تطلبه... ثلاثة آلاف دوقية؟... همم.
سولانيو : ولمدة ثلاثة أشهر.
شايلوك : لمدة ثلاثة أشهر... همم.
سولانيو : وسيكون أنطونيو كما أخبرتك ضامن سدادها.
شايلوك : أنطونيو ضامن سدادها.. همم... إذاً أنت تطلب مني ثلاثة آلاف دوقية ولمدة ثلاثة أشهر... وأنطونيو ضامن سدادها... وما رأيك أنت؟
سولانيو : ثلاثة آلاف ولمدة ثلاثة أشهر.. لم أكن لأقبل العرض **(يحاول شايلوك أن يتكلم)** ولكن إن كان أنطونيو ضامن سدادها... لما كنت تركت تلك الفرصة تضيع من بين يديَّ **(يحاول شايلوك ثانية أن يتكلم)** فأي إنسان يأتيه تاجر مثل أنطونيو يسأله حاجة فعليه أن يوقن أنه إشترى قصراً.. بل قلعة.. قلعة حصينة في الجنة.
شايلوك : أهمم.. ثلاثة آلاف دوقية.. لمدة ثلاثة أشهر... وأنطونيو ضامن سدادها.
سولانيو : وأنطونيو ضامن سدادها.
شايلوك : **(يضحك ضحكة صغيرة)**.. سيكون أشبه بالعشار الذليل **(يضحكان بشكل استفزازي)**.. غير أني أكرهه إذ أراه بسذاجته وتواضعه يقرض المال بدون فوائد.. فيقلل مما نجنيه من الربا هنا في البندقية... فلو أني تمكنت من استغلال عثرة واحدة منه... لنفست عن حقدي القديم عليه... **(لأنطونيو وبأداء مختلف)** عندما أفكر في وضعي المالي الراهن... وأظنني إن لم تخني ذاكرتي غير قادر على أن أوفر لك على الفور مبلغ ثلاثة آلاف دوقية.
لورينزو : **(على جانب آخر)** لقد تأخر.
سولانيو : سيجيء بالمبلغ.. لا تقلق.
أنطونيو : مرحى يا أصدقاء.
لورينزو : ماذا فعلت؟

أنطونيو : اعتبر نفسك من اليوم تاجر ثري من النبلاء.

لورينزو : حقاً؟!!.. **(يحتضنه ثم يخرج مسرعاً فيعود)** أعذرني يا صديقي.. ولكن عليَّ وفوراً أن أذهب لأطلع حبيبتي على هذا الخبر السعيد.

أنطونيو : لا عليك.. **(يخرج لورينزو وأنطونيو يراقبه وسولانيو يراقب أنطونيو)**

سولانيو : **(لحظة مراقبة لأنطونيو الذي يبدو مكتئباً)** ماذا بك.

أنطونيو : لا شيء.

سولانيو : يبدو عليك الضيق... هل حدث شيء ما مع شايلوك.

أنطونيو : لا أبداً الأمور سارت بشكلٍ طبيعي.

سولانيو : أنطونيو... أريدك أن تقص عليَّ ما دار بينكما وبالتفصيل.

شايلوك : (بعد أن عاد المنظر للمشهد السابق) ولكن... بعد كم شهر تنوي رد المبلغ؟.. نعم.. نعم... ثلاثة آلاف دوقية.. ولمدة ثلاثة أشهر.

أنطونيو : رغم أنني يا شايلوك لا أتقاضى ولا أدفع فائدة حين أقترض أو أستدين.. فسأخرق القاعدة لأوفر لصديقي احتياجاته الملحة.

شايلوك : أظنك تقول إنك لا تتقاضى ولا تدفع فائدة.

أنطونيو : لا أتعامل مع الفائدة قط.

شايلوك : حين كان يعقوب يرعى غنم خاله لا بان.. وكان يعقوب هذا...

أنطونيو : (مقاطعاً) ماذا عن يعقوب؟ هل كان يتقاضى فائدة؟

شايلوك : كلا... أعوذ بالله.. لم يكن يتقاضى فائدة... أعني أنه لم يكن يتقاضاها بصورة مباشرة **(يشرع أنطونيو أن يحتج)**... إسمع ما صنعه يعقوب.. حين اتفق هو ولا بان على أن يكون أجر يعقوب كل ما يولد من خراف رقطاء وبلقاء... ثم حلت نهاية الخريف وحميت شهوة النعاج إلى الكباش.. وبدأت عملية التزاوج بين هذه الخراف ذات الصوف الغزير.. أخذ هذا الراعي الأريب يعقوب قضباناً خضراً فقشر فيها خطوطاً بيضاء.. وعرضها على النعاج فتوحمت عليها وتمخضت وقت الولادة عن حملان متعددة الألوان دخلت كلها في ملك يعقوب... وهكذا كان سبيله إلى تنمية ثروته... وهو الرجل المبارك.

أنطونيو : **(في جانب آخر)** لاحظ يا بيسانيو كيف أن بوسع الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس لدعم أغراضه... وما الروح الشريرة التي تلوح باستشهادات دينية.. إلا كالوغد ذي الابتسامة على خديه.. أو كالتفاحة العفنة ذات المظهر الجميل.. ألا ما أجمل المظهر الخارجي للزور والكذب! **(عودة للمشهد الآخر)** لقد كان يعقوب يعمل ويكد في هذا المشروع.. وما كان باستطاعته أن يحقق النتائج التي حققها إلا بفضل الله وإرادته.. فهل رويت لنا القصة من أجل تبرير الفائدة؟.. أم أن ذهبك وفضتك خراف ونعاج؟

شايلوك : لا أدري... ولكن لتصغ إلي يا سيدي.. في قصةٍ أخرى.

أنطونيو : شايلوك...

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية.. إنه مبلغ كبير... ولمدة ثلاثة أشهر من إثنى عشر شهراً أي الربع... (بهمهمة) والربع مضروباً في ثلاثة آلاف ثم نضرب هذا الآخر في ثلاثة أشهر وبالإضافة إلى!!!!!!!! إنه مبلغ كبير.. ثلاثة آلاف دوقية.

أنطونيو : شايلوك.. أبوسعي أن أعتمد عليك؟ أم لا؟

شايلوك : سيدي أنطونيو.. مراراً وتكراراً عيرتني بسبب ثروتي وما أتقاضاه من الربا.. ومع فقد تحملت الإهانات في صبر.. فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها.. نعتني بالكفر.. وبأني كلب سفاح.. وبصقت على زيي اليهودي.. دون ما سبب غير استثماري لأموال هي ملكي.. والآن يبدو وكأنك في حاجة إلى مساعدتي.. دعوةٌ منك! تأتيني وتقول "شايلوك نريد مالاً" تقول لي هذا وانت بصقت على لحيتي..

ورفستني رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك.. تريد مالاً.. فما عساي أن أقول لك؟ أليس من واجبي أن أقول "وهل للكلب مال؟ أيعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية؟" أم أن علي أن أنحني لك.. وأن أهمس **(يقلد العبد الذليل وبأنفاس متقطعة)** "سيدي الكريم.. قد بصقت علي في اليوم الفلاني وركلتني في اليوم الفلاني ونعتني بالكلب تارة أخرى... ومن أجل كل هذا التعطف منك.. سأقرضك مالاً كثيراً" ماذا عساي أن أقول؟ها؟ ماذا ترى؟

أنطونيو : ما أحسب إلا أني سأنعتك بهذا مرة أخرى وأبصق عليك مرة أخرى وأركلك كالكلب بقدمي... فإن أنت أقرضتني المال فلا تقرضه لي إقراض الصديق للصديق.. بل إقراضك لعدو.. إن هو أفلس طالبت بتوقيع العقوبة عليه وأنت مرتاح الصدر.. هذا ما عساك أن تقول.

شايلوك : **(بتودد يصحبه معايرة)** ما كل هذا الغضب؟ إنني أريد صداقتك.. وأطمع في حبك.. وأتناسى الإهانات السابقة سريعاً.. حقاً أتناسى الإهانات سريعاً.. وأوفر لك احتياجاتك الراهنة.. ولا أطالبك بفلس واحد كفائدة لنقودي.. وأنت لا تريد الإصغاء إليَّ.. إنه إكرام مني لك.. ولأبرهن على ذلك.. تعال معي لمحرر العقود.. ولتوقع هناك عقداً غير مشروط.. ولنذكر فيه على سبيل المزاح أنك إن لم تدفع في الموعد المحدد وفي المكان المحدد.. المبلغ المحدد في شروط العقد.. كان الجزاء **(يتحدث بسخرية مفتعلة)** رطلاً لا يزيد ولا ينقص من لحمك أقتطعه وآخذه من أي جزء أختاره من جسدك.

أنطونيو : موافق بكل تأكيد.. سأوقع على مثل هذا العقد وأقول إن اليهودي كريم جداً.

شايلوك : حسناً.. فلنتقابل بعد قليل إذن لدى محرر العقود.. لتصدر إليه التعليمات بشأن هذا العقد الفكاهي.. أما عني فسأمضي بعدها لإحضار المبلغ.. وأعاين أحوال منزلي.. ثم تبعث لي بأحد مساعديك ليتسلم المبلغ.

أنطونيو : أسرع إذن أيها اليهودي الطيب.

سولانيو : **(جانب آخر)** وهل جننت يا أنطونيو.. إسمع.. أنت لن توقع على مثل هذا العقد.

لورينزو : **(جانب آخر)** ولماذا لا يوقع؟. ألم يكن يريد أن يكون زواجكي من تاجرٍ ثري؟ وها أنا ذا... فلماذا إذاً سيماطل في أمر عقد الزواج.

جيسيكا : بلى.. تاجر ثري.. وليس مقترض.

لورينزو : ومن سيخبره بأني مقترض.. سأخبره بأني سأبدأ تجارة كبرى مع صديقي أنطونيو قريباً وبذلك أعيد أمجادي القديمة وثرواتي الضائعة.

جيسيكا : **(بقلق)** وهل تظنه سيصدق قولك؟ هل سيوافق؟

لورينزو : عليه أن يوافق بعد أن يرى المال في يديَّ... أما إن فعل مثلما يفعل دائماً ووضع شروط إضافية.. فما علينا حينها إلا الهرب.

جيسيكا : ثم؟

لورينزو : هذا السؤال يؤكد لي أنكِ لازلتِ تشككين في حبي لكِ ورغبتي في الزواج منك... ومع ذلك...حسناً ثم نذهب إلى بلادٍ أخرى ونتزوج.

جيسيكا : **(وكأنها كانت تنتظر سماع هذه الكلمة بفارغ الصبر فتنفجر فرحاً)** وأخلص روحي من هذا الجحيم.. وأحيا معك أخلص لك طوال حياتي وتخلص لي.

شايلوك : جيسيكا... جيسيكا...

جيسيكا : إنه أبي... نعم يا أبي؟ إختبئ هنا.. هيا.

أنطونيو : **(الجانب السابق)** لا تخش شيئاً يا رجل.. فلن أتخلف عن الوفاء بالدين.. وأنت تعلم أنه في ظرف شهرين أي قبل حلول أجل الوفاء بالدين بشهر كامل.. أتوقع وصول أرباح هي ثلاثة أضعاف قيمة هذا الصك.. صدقني سيتحول اليهودي هذا إلى مسيحي بمجرد أن يحصل على ماله.

سولانيو : لا أطمئن إلى شروط عادلة.. تصدر عن وغد شرير.**(جانب آخر)**

شايلوك : أتنعتني بالوغد الشرير وأنت في حضرة بيتي يا طوبال؟!

سولانيو : إسمي سولانيو ولا تنس نفسك يا شايلوك.. ونعم أنعتك بالوغد.. لقد بعت اتفاقنا بعقدك الأبله مع أنطونيو... ألا تخشى ألا يرد لك القرض؟

شايلوك : أنت تعلم جيداً أنه سيرده وقبل ميعاده بكثير.. وسيفتح ذلك لي باباً على الجنة.. ألم يكن ذلك قولك.

سولانيو : بلى.. ولكن ماذا عن الفائدة؟... وهل تعلم ما ستنعتك به قبيلتنا؟

شايلوك : الفائدة التي أجنيها من هذا القرض.. أكبر بكثير من حفنة مال أو حتى ذهب... سولانيو.. أنت لا تفهم شيء.

جيسيكا : **(جانب آخر)** لورينزو.. لورينزو أخرج.

لورينزو : هل رحل؟

جيسيكا : لا.. مازال بالأسفل.. **(يندفع للاختباء)** تعال.. تعال ولا تخف.. إنه قد أحضر معه ضيف.. وما دام معه ضيف فلن يصعد إلى هنا ولن يناديني ثانية... حتى لا يضطر إلى أن يعرض علي أن أقدم له شيء.. وبعد قليل ستجده أخذ الضيف وراح يجني الأموال.

لورينزو : **(بفضول)** ومن هذا الضيف الذي معه.. هل استرقتي السمع لتعرفي على الأقل من الضيف القائم في بيتك الآن؟

جيسيكا : ليس من عادتي استراق السمع.. ولكن وبمحض الصدفة **(يضحك)** لا تضحك... سمعت أن اسمه سولانيو.

لورينزو : سولانيو.. مستحيل.. **(يتحرك باحثاً على مكان ينظر منه على الضيف)**

جيسيكا : ماذا دهاك؟ هل هناك خطب ما؟

لورينزو : سولانيو هو من يحصل لأنطونيو أمواله وتجاراته.

جيسيكا : وماذا في ذلك؟

لورينزو : ليس لأنطونيو أية أموال أو تجارات هذه الأيام إلا القرض الذي اقترضه لي اليوم.

جيسيكا : هل تعني أن أبي هو من أقرضه المال؟

لورينزو : مؤكد.

جيسيكا : وبذلك لن يفلح تخطيطك لإقناع أبي بأنك أصبحت تاجراً ثرياً.. هذا إن لم يطالبكم بالمال بمجرد أن يعرف الحقيقة.. ولكن... هل سيخبره هذا الرجل بكل شيء.

لورينزو : سولانيو لا يعلم أنك ابنة التاجر الذي سيقرضنا المال ومؤكد وعن غير قصد سيذكر أنني من يحتاج إلى القرض ويتوسط له أنطونيو في ذلك متواطئاً معه في تلك اللعبة.. لقد خَرِبَ الأمر على الجميع.

جيسيكا : وماذا ستفعل؟

لورينزو : لا سبيل الآن أمامي إلا المخاطرة بالهرب إلى بلاد أخرى.

جيسيكا : **(بخوف)** رجائي إليك أن تتريث.. وأن تتمهل يوماً أو يومين قبل أن تغامر.. ذلك أنك إن أخطأت التصرف فقدت أنا صحبتك.. فانتظر إذن بعض الوقت.. إني أريدك أن تبقى هنا شهراً أو شهرين قبل أن تخاطر من أجلي... وقد تخطئ التصرف فتفقدني.. فإن فقدتني فسيدفعني فقدك إلى التحسر على أني لم آثم معك.. ويلي من عينيك..قد سحرتاني.

لورينزو : بل دعيني أخاطر.. حتى أنهي ما أنا فيه من عذاب كعذاب الجحيم.

جيسيكا : حسناً.. غير أني أخشى أن يكون كلامك هذا بدافع ما ذكرته من عذاب... والتعذيب كما تعلم.. يستخدمونه لإجبار المرء على قول ما يريدونه أن يقول.

لورينزو : عديني بالحياة فأعترف بالحب لك.

جيسيكا : حسناً إذاً.. اعترف وعش.

سولانيو : **(جانب آخر)** أنطونيو لا بأس به.

شايلوك : أمازلت تشكك؟

سولانيو : لا لا لا... أقصد من قولي أن ضمانته كافية.. غير أن ثروته افتراضية.. فله سفينة تتجه إلى طرابلس الشام.. وأخرى صوب جزر الهند الغربية.. وعلاوة على ذلك فقد عرفت أن له ثلاثة في المكسيك.. وأربعة تتجه إلى انجلترا.. وسفناً أخرى بعثرها هنا وهناك.. غير أن السفن ما هي إلا ألواح.. والبحارة ما هم إلا رجال.. وثمة فئران في البر وفئران في البحر ولصوص في البر ولصوص في البحر.. وثمة أيضاً أخطار تتمثل في الأمواج والرياح والصخور... ومع ذلك فإن الرجل ضمانته كافية.. ثلاثة آلاف دوقية.

شايلوك : إسمع..الثقة مطلوبة..ولكي تتوفر الثقة سأبحث عمن يضمن لي أنطونيو نفسه شركائه أقاربه أصدقائه..شيء من هذا..سمعت أنه يقيم حفل عشاء في بيته الليلة.

سولانيو : إن شئت أن تتعشى معنا...

شايلوك : بكل تأكيد... إني لعلى استعداد أن آكل معكم.. أو أشرب معكم.. أو حتى أصلي معكم.

لورينزو : **(جانب آخر)** سأتسلل خفية وقت العشاء.. وأتنكر بمسكني في زي مختلف.. ثم أعود إليكِ في خلال ساعة.

جيسيكا : لم نتخذ بعد الاستعدادات المناسبة.. ولم نناقش موضوع حمل المشعل.. سيكون الأمر كله بشعاً لو لم نعد له بعناية

لورينزو : لم تتجاوز الساعة الرابعة بعد.. وأمامنا ساعتان كافيتان للاستعداد

شايلوك : جيسيكا...

لورينزو : وهو يهرب.. سأعود إليكِ بعد ساعة حاملاً لكي زي حامل المشعل الذي سيرافقني في الحفل... وصدقيني لورينزو لا يفشل أبداً.

شايلوك : (جانب آخر) حسناً سترى بنفسك وستحكم عيناك أي فارق بين شايلوك العجوز وبينك... جيسيكا... جيسيكا

جيسيكا : أتناديني يا أبي؟ ماذا تريد؟

شايلوك : أنا مدعو إلى العشاء يا جيسيكا.. هاك مفاتيحي.. ولكن ما الذي يضطرني إلى الذهاب.. إنهم يدعونني لتملقي.. ومع ذلك سأمضي إليهم... ولأطعم من مائدة المسيحي المبذر.. إسمعي يا جيسيكا... أحكمي غلق الأبواب... فإن سمعتِ صوت الطبل وصوت المزمار المزعج الحاد فلا تتسلقي عندئذ إلى النوافذ.. أقسم بعصا يعقوب أني لا رغبة عندي في التوجه إلى حفل هذا المساء.. غير أني سأذهب... إمض قبلي يا صاحبي وخبّرهم أن اليهودي شايلوك سيحضر الحفل.

سولانيو : سأمضي قبلك يا عزيزي... (لجيسيكا سراً) تطلعي من النافذة الليلة يا سيدتي رغم كل ما قال... وسيأتيكي فتى مسيحي يحبك لا تدعيه يضيع من بين يديكي كما ضيعتي إرثك عن أمك.

شايلوك : هيا يا سولانيو... ليس هذا وقت الغزل... أطيعي أمري واغلقي الأبواب بعد دخولك.. قديماً قالو:"أحرس المال يحرسك" وهو مثل عظيم... يستنير به العقل الحكيم.

جيسيكا : **(بعد أن يختفي)**... وداعاً فإن كان الحظ مواتياً.. فقدتَ إبنة لك وفقدتُ أباً لي. **(بلاك 3 ثواني)**

شايلوك : **(جانب آخر)** طوبالُ... ما الأخبارُ؟ هل وجدتَ ابنتي؟

سولانيو : مررتُ بأماكنَ كثيرةٍ حدثوني فيها عنها.. غيرَ أني لم أوَفّقْ إلى العثورِ عليها.

شايلوك : رباهُ.. ضاعتْ ماسةٌ كلفتْني ألفيْ دوقيةٍ.. ما عَرِفَتْ أمتُنا لعنةَ السماءِ إلا الآن.. ألفا دوقيةٍ دفعتُها ثمناً لتلكَ الماسةِ بالإضافةِ لجواهرَ أخرى نفيسةٍ.. ليتني أرى ابنتي ميتةً عندَ قدمي والجواهرُ في أذنيها.. ليتها في نعشِها عندَ قدمي والدوقياتُ معَها... لا أخبارَ منها أبداً؟ **(يهز سولانيو رأسه)** كيفَ؟ ثمَّ المبالغُ التي أنفقتُ في البحثِ عنها.. ألم تُثْمِرْ عن أيةِ أخبارٍ؟

طوبال : سمعتُ وأنا أبحثُ عنها وأتقصى الأخبارَ أن أنطونيو قد تحطمتْ سفينةٌ كبيرةٌ له أثناءَ قدومِها مِن

طرابلسَ...

شايلوك : حمدا لله... إنها لأخبارٌ سارةٌ.

طوبال : وسمعتُ أيضاً أن ابنتَكَ أنفقتْ في ليلةٍ واحدةٍ ثمانينَ دوقيةٍ.

شايلوك : يا لها كالطعنةِ في قلبي... لن أرى ذهبي مرةً أخرى ما حييتُ.

طوبال : أراني أحدُهم خاتَماً من الياقوتِ دفعتْهُ ابنتُكَ ثمناً لقردٍ اشترتْهُ منهُ.

شايلوك : كفاكَ يا طوبالُ... كفاكَ تعذيباً وطعناً... لم أعُدْ أحتملُ... هل عَرَفْتَ كيفَ هَرَبَتْ هذهِ اللصةُ.. معَ الخنزيرِ الدنسِ لورينزو؟

طوبال : نعم... في الحفلِ الذي كانَ في قصرِ أنطونيو والذي أردتُ أن تحضرَهُ للتقربِ إليهِ وتكونا صديقين... هل تذكرُ.

شايلوك : نعم نعم.

طوبال : كان لورينزو يخططُ إلى الهربِ بشكلٍ احترافيّ... فبعدَ أن خرجْنا أنا وأنتَ من البيتِ بساعةٍ...

لورينزو : **(جانب آخر)** جيسيكا.. جيسيكا.

جيسيكا : من؟

لورينزو : أنا حبيبُكِ يا ملاكي... ألا تعرفين صوتي؟

جيسيكا : بل أسمعُهُ وأنتَ لا تتكلمُ... وأعرفُهُ من قبلِ أن أعرفَكَ بأعوامٍ.

لورينزو : هيا إذاً.. هذا زيُّ حاملِ المشعلِ فلترتديهِ ولنرحلْ من هُنا إلى الأبَدِ.

جيسيكا : حسناً ولكن فلتنتظرْ بضعَ دقائقَ.

لورينزو : لماذا؟!!.

جيسيكا : أريدُ أنْ آخذَ حقي في إرثِ أمي.. تركتُهُ لهُ سنواتٍ.. ولن أتركَهُ أبدَ الدَهْرِ.. هو حقي.

لورينزو : لا نريدُ منه شيئا... فمعي ما يكفينا من المالِ ويزيدُ.

جيسيكا : لن أتركَ إرثي لأحدٍ غيرِكَ يا لورينزو... لنْ أُفَرِّطَ فيكَ أو فيهِ يوماً.

لورينزو : حسناً إن كنتِ تُصِرينَ... ولكنْ خذي القليلَ... ما يكفينا في رحلةِ السفرِ... ولنحفظْ ما لي من مالٍ.. من أجلِ العيشِ في بلادٍ جديدةٍ.. وهيا أسرعي.

جيسيكا : حسناً.

لورينزو : بل انتظري... خذي أيضاً منهُ ما يفيدُنا في الإقامةِ لعدةِ أيامٍ فقد نحتاجُ إلى الدوقياتِ التي أملكُها في تجارةٍ جديدةٍ... أو... خذي ما تستطيعينَ حملَهُ لمساندةِ تجارتي في البلادِ المجهولةِ فماذا تحملُ لنا الأيامُ؟.. لا نعلمْ.. كم يكونُ إرثُكِ كلُّه؟

شايلوك : غبيٌ... إنني غبيٌ أن أتركَ مالي وذهبي في أمانةِ امرأةٍ... إنهنّ جميعاً خِرافٌ بلهاءُ.. لقد كانتْ أمُّها هي الأخرى لا تفكرُ إلا بالعواطفِ والمشاعرِ المهترئةِ... لقد أضاعتْ مني فُرَصاً كثيرةً في حياتي... أتعلمُ أنها...

طوبال : إسمعْ ولا تقاطعْني.

شايلوك : أسمِعْني من كلامِكَ ما يصلّبُ قلبي.

طوبال : وعندما حضرَ لورينزو الحفلَ... كان واقفاً بجوارِكَ تماماً وكانت جيسيكا هي الخادمُ الذي يحملُ له المشعلَ... (يوشك شايلوك أن يتكلم وقد ظهرت عليه صدمة كبيرة) أجل... هو ذاك الخادمُ الذي اصطدمتُ به وأنتَ مخمورٌ وأثنيتَ عليهِ وأوسعتَ له الطريقَ عندما كان يرحلُ خلفَ لورينزو.

شايلوك : طوبالُ... نارٌ تأكلُني...

طوبال : هي نارُ الغيظِ يا عزيزي... لا تكظُمْها حتى لا تحرقَكَ... بل اجعلْها أداةً تحرقُ بها الأغصانَ الخضرَ المتدليةَ من الجنةِ... على أكتافِ من خانوكَ.

شايلوك : هل أنتقم من الخائنة؟ التي سرقت نور عيني... سرقت قلبي.

طوبال : بالطبع لا... إنها ابنتُكَ يا شايلوك... وإذا نظرتَ بعينِ الحقِّ.. لوجدتَ أنها أخذتْ نصيبَها من ثروةِ

أمِها فقط.. ولم تسرقْكَ

شايلوك : ماذا تقولُ يا طوبالُ؟ إنني...

طوبال : عليك أن تركزَ غضبَك على الخائنِ الحقيقيِّ.

شايلوك : لورينزو...

طوبال : لا لا.. انتقامُكَ من لورينزو هو هلاكٌ لابنتِكَ أيضاً... فهي تعشقُهُ.. غيرَ أنَّ لورينزو فارسٌ مغوارٌ... أتاكَ يسألُكَ زواجاً من ابنتِكَ... وأنت رفضتَ... وأنتَ على علمٍ بأنهما عاشقانِ... فما كانَ أمامَهُ إلا أنْ يهرُبَ بحبيبتِهِ على فرسٍ أبيضَ إلى عالمِ الحبِ والخيالِ...هذا هو حالُ الشبابِ دائماً... أما الخائنُ هو من دبرَ لكَ تلكَ المكيدةَ النكراءَ... فمن تظنُّ أنه يملُكُ أنْ يبعثَ بشرياً إلى أيِّ مكانٍ كان على وجهِ الأرضِ؟

شايلوك : أنطونيو؟!!

طوبال : من جعلَ منكَ أضحوكةً بينَ أفرادِ قبيلتِنا؟
من حثَّ الشابَ لورينزو على أن يتحداكَ بسرقةِ ابنتِكَ منك؟
من جعلَ جُلَّ مالِهِ مسخراً في خدمةِ إيذائِك؟

شايلوك : مالِه؟!! أنسيتَ أنه كان بالأمسِ يقترضُ مني المالَ؟

طوبال : كما نسيتَ أنتَ أني أخبرتُك الآن أنه جعلَ منكَ أضحوكةً بينَ أفرادِ قبيلتِنا... إن المالَ الذي استخدمَهُ لورينزو في الهربِ مع ابنتِكَ والتخطيطِ للمكيدةِ... هو نفسُه المالُ الذي...

شايلوك : لا لا... لاتقلها.

طوبال : بل سأقولُها... هو المالُ الذي أقرضتَه...

شايلوك : لا تقل شيء... لا أريدُ أن أسمعَ شيئاً يا طوبالُ... أفهمتَ؟.. لا أريدُ أن أسمعَ شيئا... إسمعْ أيها الشيطانُ... أريدُك أن تَمُدَّ يدَكَ الشيطانيةَ في تجارةِ أنطونيو هذا... حتى يُفْلِسَ.. أريدُ أن أراهُ أمامي بعدَ ثلاثةِ أشهرٍ كلبا ذليلاً... يلهثُ من الفقرِ والجوعِ... وسيقبِّلُ قدمي حتى أُعْتِقَهُ... ولن أعتقه.

طوبال : رغمَ أنك نعتَّني بالشيطانِ وبأني من نسلِ الجحيمِ... إلا أنك اقتربتَ بعضَ الشيءِ... سأساعدُكَ وبدونِ مقابلٍ.. ولكن.. ورغمَ أنَّ الشيطانَ نفسَهُ يكلفُني ببعضِ الأعمالِ التي تستعصي عليه... فإن ما تتمناه هو أبعدُ من الخيالِ في حدوثِهِ... فأنتَ أعلمُ مني بمُلْكِ أنطونيو... ولكنْ إن كنتَ ترغبُ حقاً في الانتقامِ... فهناكَ حلٌ بسيطٌ يحققُ لكَ ما تتمناهُ.

شايلوك : أرحني به.

طوبال : سأعملُ على تعطيلِ سفنِ أنطونيو والتي كان مقدراً لها أن تصلَ قبلَ ثلاثةِ أشهرٍ.. وبذلكَ يظلُّ مَديناً لك بثلاثةِ آلافِ دوقيةٍ إلى ما بعدَ حلولِ الميعادِ المحددِ لسدادِ الدينِ.. وحينَها يَحُقُّ لكَ أن تُطَبِّقَ عليهِ شرطَ العقدِ.

شايلوك : القتلَ.

طوبال : لا.. شرطُ العقدِ أن تأخذَ من لحمِهِ رطلاً كاملاً... من أيِّ مكانٍ في جسدِهِ...آهٍ.. كم سأحزنُ على هذا الرجلِ حينَها... فإنه ذو قلبٍ كبيرٍ... يزنُ رطلاً كاملاً على ما أظنُّ...(يضحكان).

لورينزو (جانب آخر) القمرُ يتلألأ نورُه... في ليلةٍ كهذهِ.. كانت النسماتُ الهادئةُ تطبعُ قبلتَها الرقيقة على خد الأشجار دون ما صوت أو حفيف.. وقفت ديدو على ساحل البحر صاخب الأمواج وهي تحمل عودا من شجر الصفصاف تلوح به لحبيبها حتى يعود.

جيسيكا في ليلة كهذه كانت ميديا تجمع الأعشاب السحرية حتى تعيد بها الشباب إلى إيسون الشيخ.

لورينزو في ليلة كهذه فرَّت جيسيكا من دار اليهودي الثري.. تاركة البندقية مع حبيبها الطائش

جيسيكا في ليلة كهذه أقسم لورينزو الشاب أنه يهيم بها... وسلبها عقلها بالعديد من عهود الإخلاص والوفاء... وما كان صادقاً في أي عهد منها.

لورينزو في ليلة كهذه أساءت جيسيكا الجميلة الماكرة الظن بحبيبها... ولكنه سامحها.

جيسيكا (بدلع) بوسعي أن أغلبك الليلة في هذه المساجلة لو أننا ظللنا وحدنا.. غير أني أسمع طرقا على الباب.

لورينزو (بهيام) ماذا؟

جيسيكا (بمياصة) طرقٌ... على الباب.

لورينزو (بغضب شديد) حسناً أيها الطارق.

أنطونيو (جانب آخر) أي شايلوك الطيب... إسمعني.

شايلوك سَتُنَفَّذ شروط العقد.. فلا أسمعنك تسفهها.. وقد أقسمت على نيل حقي.

لورينزو (جانب آخر) من السنيور أنطونيو الذي ينقل أخباره إليك.

شايلوك (جانب آخر) كنت تدعوني كلباً قبل أن يكون لديك سبب يدفعك إلى هذا.. وحيث أني كلب.. فاحذر من أنيابي.

جيسيكا (جانب آخر) ثمة أنباء محزنة في تلك الرسالة التي امتقع وجهك لقراءتها؟.. لابد أن صديقاً عزيزاً لك قد مات... فما بوسع خبر آخر الإخلال من توازنك هكذا إلا إذا كان أسوء من الموت.. لورينزو.. إني شريكة حياتك ولا بد من مشاركتك فيما حملته إليك هذه الرسالة.

لورينزو آه يا عزيزتي جيسيكا.. فيها كلمات هي أبشع ما خطه قلم في ورق.. كل كلمة فيها كالجرح الغائر يقطر دماً

جيسيكا لتسمعني إذن ما كتبه أنطونيو في خطابه.

لورينزو "عزيزي لورينزو... قد تحطمت سفني جراء تأخرها في البحر...

أنطونيو وما نجى منها لم عد إليَّ إلى الآن... وغلبت القسوة على دائني... وتدهورت أحوالي... قد حل أجل الوفاء بديني لليهودي ولم أوف به.. وحيث أني لا محالة ميت متى نُفذت شروط العقد.. فإني أعفيك من كافة ديونك لي شرط أن أراك قبل موتي... ومع ذلك فإني لا ألح.. فإن لم يكن في حبك لي حافز كاف على المجيء.. فلا تجعل رسالتي حافزاً عليه...

لورينزو أنطونيو".

جيسيكا ءأخفقت كل تجاراته؟ لم يكتب لأيها النجاح؟ لم يأته أية سفينة من طرابلس أو المكسيك أو انجلترا أو المغرب أو الهند.. أما من سفينة واحدة؟

لورينزو ما من سفينة.

جيسيكا إني لواثقة يا سيدي من أن مصير أنطونيو سيكون مظلماً إذا رضخ القانون والسلطة والحكومة لمطلب أبي.

لورينزو أعز أصدقائي.. وأطيب الناس قلباً.. وأرقهم طباعاً.. وأسعاهم في خدمة الآخرين... صاحب الفضل.. كل الفضل عليَّ.. طوال حياتي.

جيسيكا حبيبي.. عجل بإنهاء أشغالك وسافر إليه.

سولانيو حقاً؟!! سأعجل بالسفر ما دمت قد أذنت لي بالذهاب.. وأعاهدك ألا أبيت في فراش أو أعرف الراحة حتى نلتقي بعد غياب.

جيسيكا غياب!! وهل يمكن أن تعود الروح إلى الجسد بعد الغياب؟ لقد أقسمت ألا أدعك تغيب عني لحظة منذ أن أصبحنا زوجين مسيحيين.. سأذهب معك.. فليس من العدالة أن تغيب عن عيني ثانية.

شايلوك سيلتزم الدوق بمقتضيات العدالة... إني لأعجب من طبعك الجديد أيها التاجر الشريف.. تسألني وتتوسل إليَّ الآن.. أن أخالف القانون؟!!

سولانيو إسمعه... فقد تلين وتحن.

شايلوك سأنال حقي ولن تسمح لي نفسي بأن ألين وأن أخدع.. فأهز رأسي وأتراجع وأتنهد.. وأستجيب لشفاعة مسيحي.. لا تتبعني.. فما أقبل حديثاً منك.. وسأنال حقي.

سولانيو ما عرف الناس بينهم من هو أكثر عناداً من هذا الكلب.

أنطونيو دعه وشأنه ولن ألاحقه بعد الآن بتوسلات لا طائل من ورائها.. إنه يريد قتلي وأنا أعلم السبب جيداً. فقد سبق لي أن أنقذت الكثيرين ممن جاءوا يطلبون عوني من عقوبة الإخلال بالعقود.. وهو يكرهني لذلك.

سولانيو وهل تظن بأن الدوق لن يسمح بتوقيع العقوبة عليك؟

أنطونيو أعلم أنه ليس بوسع الدوق أن يغير من مجرى العدالة.. فلو أن أي محاولة تمت للحد من امتيازات الأجانب.. للحق سمعته في مجال احترام القانون ضرر كبير.. فامض إذن... لقد تسببت أحزاني وخسائري في نحول جسدي حتى لأشك في استطاعتي أن أقدم رطلاً من اللحم غداً إلى دائني المفترس.. هيا إذن.. وعسى أن يأتي لورينزو حتى يراني أسدد دينه.. ثم لن يهمني بعد هذا شيء.

سولانيو لا تذكرني.. كان عليك أن تتشدد قليلاً في ألفاظك.. عندما ترسل له.. فأنت تطالبه بأموالك.. كان عليك أن تأمره وأنت صاحب الفضل.. لا أن تتوسل.. كما تتوسل الآن من عدو.. قد صرت تتوسل كثيراً وأنت سيد قومك.. يا أنطونيو.. وهذا ما لا يرضيني منك.. ولن يرضيني.. ما بقيَ لك الآن.. إلا أن تموت بكبرياء.. (للورينزو) أو أن تعيش حياة الفقر مرة أخرى بعد الثراء.. إن أنت دفعت لشايلوك أمواله أنفقت ما لا يمكنك استرداده... الثراء.. المال.. راحة البال والأمان والمكانة الكبيرة بين تجار بلدتك الجديدة.. أما من واجبك يا سيد لورينزو.. وهو الواجب الأهم.. أن تحفظ لتلك المرأة أموالها.. تلك الأموال التي ءاتمنتك عليها.. وأنت حفظت الأمانة شهوراً.. (لجيسيكا) إرثك عن أمك... هذا المال الذي تركته لأبيك في الماضي وأنت حارساً عليه... لأنه كان يكبر ويزيد أمام عينيكي إلى أن استرديته أخيراً... مالاً طائلاً قد يضيع هباءاً... أتضحيان بكل ذلك وتذهبان إلى شايلوك الذي لا يستحق أن تُمسح عنه ذرةٌ من الدنس على جبينه... فتعطيانه أموالكم.. فلماذا كل ذلك الغباء... من أجل من؟

شايلوك من أجلي.. أو حتى من أجل ثأري

سولانيو وأي نفع لك في هذا اللحم؟

شايلوك أستخدمه طعماً لصيد السمك.. إن لم يهدِّئ من غائلة جوعي هدَّأ من غائلة رغبتي في الثأر.. لقد أساء إلى سمعتي وحرمني من كسب نصف مليون.. وهزأ بخسائري وسخر من أرباحي... احتقر أمتي وأفسد صفقاتي وحول عني أصدقائي وأثار عليَّ أعدائي... سرق مني ابنتي وحثها على سرقة أموالي... فما دافعه إلى كل ذلك؟ أنني يهودي.. أما لليهودي عينان؟ أما لليهودي يدان.. وأعضاء وهيئة.. ومدارك وعواطف وأحاسيس؟ أليس كالمسيحي يأكل من نفس الطعام وتؤذيه نفس الأسلحة وتصيبه نفس الأمراض ويعالجه نفس الدواء ويشعر بالدفء في نفس الصيف وبالبرد في نفس الشتاء؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعنونا ونضحك إذا داعبونا.. ونموت إذا سممونا؟ فإن هم أساءو إلينا.. أفما من حقنا أن ننتقم؟ إذ ما جزاء اليهودي إن هو أساء للمسيحي؟ الثأر.. ولكن ما هو جزاء المسيحي إن هو أساء لليهودي؟ هو الثأر أيضاً.. وسيشهدون مني الغلظة التي تعلمتها منهم.. بل

وأشد منها إن لم يحل بيني وبينها حائل.

سولانيو إذاً فأنت ترفض أن تُعوَّض بالمال.

شايلوك نعم.

سولانيو تريد قتله

شايلوك بل أريد تطبيق شرط العقد وليس قتله.

سولانيو (يضحك) لذلك.. أنا معجبٌ بك.. تتعلم الدرس جيداً.. أنت دائماً يا شايلوك حريصٌ جداً مع الزمار الذي يثير المشاعر والأحاسيس التي تسبب النشوة... لا تدفع له لأنه غير صاحب قيمة عندك... إلا أنك سخيٌ جداً مع الساحر الذي يريك اللعبة.. لا تتعلمها.. بل تستخرج منها ألعاباً وأفكاراً تنفعك.. فتدفع له ما يرضيه.

شايلوك صدقني.. أنا لست بخيل.. بل إني أكرم الناس.. إذ أدفع لمن يستحق ما يستحق.

سولانيو لكن ذكائك محدود يا عزيزي... لم تتعلم مني غير الطاعة.. الطاعة في العصيان.. وهذا ما لا يرضيني ولن يرضيني... ما بقيَ لك الآن إلا أن تمثل أمام القاضي وتطالب بحقك في لحم أنطونيو... ولكني حينها سأكون إلى جوار أنطونيو مدافعاً عنه.. (شايلوك ينظر إليه بتعجب واتهام) شايلوك... عزيزي... لا تثقل عليَّ بتلك النظرة.. هذا عملي.. (لأنطونيو) فما دمت حياً... سأحاول إنقاذك... رغم أني غير راضٍ عنك.. فقد حذرتك عشرات المرات من أن تؤذِ نفسك.. إذ أنك إن تؤذِ نفسك.. تؤذيني يا صديقي... (للورينزو) هل فهمت الآن؟

لورينزو أجل... وسأفعل.

سولانيو (لشايلوك)... إذاً ماذا تنتظر مني حين تؤذيني؟... أن أقف بجانبك وأحييك.. أن أخضع لك.. لم أخلق لكي أَخضع... بل خلقت لكي أُخضِع..

شايلوك ولكنك كنت معي..

سولانيو كنت مع الجميع... ما أنا هنا إلا لأنير لكم الطريق إلى شهواتكم التي ترفضون أن تعترفوا بها.

شايلوك أنت شيطان إذاً..

سولانيو كما قلت لك من قبل... إن الشيطان ذاته ضعيف أمامي... يخضع لي... إذ أني أنتم في داخلكم... أتشعب بين ثنايا عقولكم.. إن تؤذِ نفسك.. تؤذيني ولذلك لا تؤذيني... نعم.. أنا هذا العشق الملعون في أعينكم.

أنطونيو شايلوكُ... أنا أعلمُ أنكَ إنما تتظاهرُ بكلِّ هذا الحقدِ... لتُخفيَ وجهَك الآخرَ.. أرجوكَ... أبْرِزْ ما بداخلِكَ من خيرٍ تُخفيهِ داخلَ قلبِكَ.

شايلوك صدقني... هذا الوجهُ الآخرُ الذي تطلبُهُ الآنَ... أسوأ بكثيرٍ مما تُسَوِّلُهُ لكَ نفسُك... أنتَ لم تصدقْني أني كنتُ أريدُ بهذا القرضِ صداقتِكَ... فأريتُكَ ما في عدائي من عذابٍ.

سولانيو وهل تظنُّ بأني سأرضى بما تفعلُ الآن.

شايلوك لستُ مضطراً إلى إرضائِكِ.

سولانيو إذاً سأظلُّ ألومُكَ أبدَ الدهرِ.

شايلوك ولا حتى ملامَتُكَ أصبحتْ ذاتَ قيمةٍ عندي.

سولانيو فأنت لا تدعُ لي مجالاً غيرَ أن أدفعَكَ قُدُماً نحوَ نحبِكَ... أو هلاكِكَ على الأقلّ.

شايلوك وأنا لا أسأَلُكَ أن تدفعَني في أيِّ اتجاهٍ... لقد أوصلتني إلى مرادِكَ... دعني أنا الآخرَ أنالُ مرادي... لقد أمرتني بالسوءِ.. ولن أجنيَ منه غيرَ السوءِ.

سولانيو إنني إن آمرُ بالسوءِ أو ألومُ عليهِ... فأنا أفعلُ ذلكَ كي تَطمئنَّ أنتَ... فماذا عساكَ أن تفعلَ غيرَ ما آمرُكَ به؟ وأنا آمرُكَ الآنَ بأن تُظْهِرَ بعضَ الرحمةِ التي ستحتاجُ إليها كي لا يظلِمَكَ وجهُكَ الآخرُ.

شايلوك وأيُّ ظلمٍ أستحقُّهُ ولم أرتكبْ خطأً؟ إن لديكم عبيداً كثيرين اشتريتموهم بأموالِكم... وتعاملونهم معاملةَ الحميرِ والكلابِ والبغالِ.. وتستخدمونهم للقيامِ بواجباتٍ مهينةٍ قذرةٍ لمجردِ أنكم اشتريتموهم... فهل من حقي أن أقولَ لكم.. حرروهم.. زوجوهم من ورثتِكم.. ستجيبوني بقولِكم "العبيدُ عبيدُنا.. مِلكٌ لنا"... وكذلك أجيبُكم... فرطلُ اللحمِ الذي أطالبُهُ به قد بذلتُ فيه ثمناً غالياً... فهو لي إذن... وسآخذُهُ... إني أطالبُ بالعدالةِ... فهل هي من حقي؟

جيسيكا من يسألُ القانونَ في هذه القاعةِ؟

شايلوك من أنتَ؟

جيسيكا أنا القاضي بالتازار... استدعاني اليومَ رجلٌ يهوديٌّ يسألُني حكمَ القانونِ في قضيتِهِ... وها أنا قد أقبلتُ.

سولانيو مرحباً بكَ... أمحيطٌ أنتَ بتفاصيلِ النزاعِ الذي تنظرُهُ هذه المحاكمةُ؟

جيسيكا أحطتُ بتفاصيلِ القضيةِ كلِّها... ليتقدمْ كلٌّ من أنطونيو وشايلوك... ما اسمُكَ؟

شايلوك شايلوك.

جيسيكا لقضيتِكَ طابعٌ غريبٌ... غيرَ أنَّ قوانينَ البندقيةِ لا تملُكُ أن تمنعَكَ من السيرِ في إجراءاتِها.. إذن أنت الواقعُ تحتَ رحمتِهِ؟

أنطونيو هكذا يقولُ.

جيسيكا أما تعترفُ بصحةِ هذا الصكِّ؟

أنطونيو بلى.

جيسيكا ماذا تريدُ يا شايلوك؟

شايلوك أريدُ تطبيقَ القانونِ وتنفيذَ أحكامِ العقدِ.

جيسيكا أما في وسعِهِ أن يسددَ الدينَ؟

لورينزو ها أنا أسددُهُ نيابةً عنه في حضرتِكَ وأمامَ الجميعِ.. بل أدفعُ عشرةَ أضعافِهِ... وإن لم يُرْضِهِ ذلك فسيكونُ واضحاً أن الحقدَ كانت له الغلبةُ على الأمانةِ... وإني لأتوسلُ إليكم أن تستخدموا سلطانَكم ولو مرةً واحدةً لتعطيلِ القانونِ.

جيسيكا هذا لا يجوزُ... فما من سلطةٍ في البندقيةِ بوسعِها أن تعبثَ بقانونٍ مستقرٍ.

شايلوك ألا ما أجدرُكَ بالعدلِ أيها القاضي الحكيمُ.

جيسيكا أرني الصكَّ لو سمحتَ.. نعم لقد أَخَلَّ التاجرُ بشروطِ الصكِّ.. ولليهوديِّ حقٌّ قانونيٌّ في المطالبةِ برطلِ اللحمِ.. يقتطعُهُ من أقربِ موضعٍ إلى قلبِ التاجرِ... كن رحيماً يا شايلوكُ.. فهناكَ ما يُدعَى بروحِ القانونِ فإن ماتتْ روحُ القانونِ.. ظهرَ القانونُ قاسياً لا يُحتمَلُ... حتى ممن يطالبُ به.. خذ ما عُرِضَ عليكَ من مالٍ واسمحْ لي بتمزيقِ الصكِّ.

شايلوك سأسمحُ بذلكَ بعد تنفيذِ بنودِهِ.

جيسيكا حسناً إذاً... بعد انتزاعِ روحِ القانونِ وتجريدِهِ من الرحمةِ والإنسانيةِ... يكونُ حكمُ القانونِ في هذهِ القضيةِ... من حقِّ اليهوديِّ اقتطاعُ رطلِ لحمٍ من جسدِ التاجرِ المذكورِ... القانونُ يسمحُ بذلكَ والمحكمةُ تؤيدُهُ.

شايلوك إنكَ لقاضٍ علامةٌ... قد صدرَ الحكمُ.. هيا فلتستعدْ.

جيسيكا إنتظر... فهناكَ شيءٌ آخرُ... هذا الصكُّ لا يُجيزُ لكَ أن تُريقَ قطرةَ دمٍ واحدةٍ فهو ينصُّ على رطلٍ من اللحمِ ولم يذكرْ شيئا عن أخذِكَ لدمِهِ... فإن فعلتَ حَكمْنا عليكَ بتعويضِهِ بنصفِ ما تملُكُ عن هذه القطرةِ.

شايلوك أهكذا يقولُ القانونُ؟

جيسيكا حيثُ أنك تُلِحُّ في طلبِ تطبيقِ القانونِ.. فتأكدْ أن تطبيقَهُ سيكونُ أكثرَ مما تحبُّ.

شايلوك سأقبلُ إذن ما عُرِضَ عليَّ.

جيسيكا ليسَ لك الآنَ إلا أنْ تأخذَ ما نصَّ عليهِ العقدُ رطلاً من اللحمِ.. واعلمْ أن هذا الرطلَ إن زادَ أو نقُصَ مقدارَ شعرةٍ من لحيةٍ حُكِمَ عليكَ... بمصادرةِ أملاكِكَ.

شايلوك ولكني لا أملُكُ أن آخذَ رطلاً بهذه الدقةِ من لحمِهِ وبدونِ إراقةِ دماءٍ.

جيسيكا إذن... حكمُ القانونِ في هذه القضيةِ.. باطلاقِ سراحِ التاجرِ المسيحيّ أنطونيو وطردِ اليهوديّ شايلوكَ خارجَ البلادِ... بعدَ مصادرةِ جميعِ ممتلكاتِه.

شايلوك لن يأخذَ أحدٌ أموالي... اقتلوني ولكن لن يَمَسَّ أحدٌ منكم دوقياتي.

شايلوك (ساخراً باكياً) هل أتركُ شيئاً آخرَ؟... هل أتركُ بيتي؟.. هل أتركُ مالي وأرزاقي؟... هل أتركُ جيسيكا؟... من سرقتْ مالي... أتركُها مع هذا الداعرِ؟... أم أتركُ أنطونيو؟... من كانَ يُحَقِّرُني عن نعلِهِ... لكني أضحيتُ الأثرى... ثم ماذا حلَّ بي؟...هل كانت نغزاتُ وسوسةٍ ترشدُني... نعم لقد تبعتُ خطواتِ الشيطانِ... لا... بل كانت خطواتي... كانت خطواتي من عقلي... كنت أنا الشيطانَ أوسوسُ في نفسي... بل كانت نفسي تراودُني... نعم شهواتٌ تتشعبُ في عقلي وقلبي تملُكُني... أتعطشُ لجرعةِ دمٍ... لكن الرائحةَ لدمي... لكني سأصبِرُ للغدِ... فغداً أصبحُ في داري وأزورُ ديارَ الشيطانِ.